

" الأمانة "

ومن الأخلاق التي وجهنا إليها القرآن الكريم، وأرشدنا إلى اتباعها كي نسود ونقود، وذلك بفضل التوجيهات الربانية التي أودعها الله . سبحانه وتعالى . كتابه الكريم . أجل انه تنزيل من حكيم حميد ، فيقول الله- عزوجل- مبينا الأخلاق الكريمة ، والفضائل الحميدة ، والسجايا الحسنة ، والسلوك الراقي المتمدن والذي يساير كل عصر من العصور ، ويرسم للمسلم منهجا مستقيما يحتديه في حياته ، هذا الخلق هو الذي ارشدنا إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ أَبَىٰ يَدْعُوكَ لِتَجْزِيَهُمْ أَجْرًا مَّا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمْلِكَ إِحْدَى ابْنَتَيْ هَتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجْحِجَّ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عِشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ فَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ [سورة القصص: ٢٢: ٢٨].

ولقد وقع خلاف بين العلماء فى قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ ﴾... [سورة القصص: ٢٢] فقال بعضهم : انه خرج ما قصد مدين ولكنه سلم نفسه لله تعالى ، وأخذ يمشى من غير معرفة ، فأوصله الله تعالى الى مدين . وهذا قول " ابن عباس " -رضي الله عنهما.. وقال آخرون : لما خرج قصد مدين لأنه وقع فى نفسه ان بينه وبينهم قرابة لأنهم من ولد مدين ابن ابراهيم- عليه السلام ، وهو كان من بنى اسرائيل لكن لم يكن له علم بالطريق ، بل اعتمد على فضل الله تعالى .

ومنهم من قال : ان جبريل . عليه السلام . جاءه وعلمه الطريق ، وقيل جاءه ملك على فرس فسجد له موسى من الفرح ، فقال له الملك : لا تفعل واتبعنى ، فاتبعه نحو مدين . واحتج القائل بأن موسى -عليه السلام- خرج وهو ما يقصد مدين ان الله تعالى قال ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ ﴾... ﴿... ولو كان قاصداً مدين لقال: (ولما توجه الى مدين) لكنه قال: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ ﴾... ﴿... عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾

[سورة القصص: ٢٢]

فهذا كلام شك لا عالم . والأقرب أن يقال أنه قصد الذهاب الى مدين وما كان عالماً بالطريق ثم انه كان يسأل الناس عن كيفية الطريق لأنه يبعد من موسى - عليه السلام - في عقله ونكائه أن لا يسأل .

وخرج من مصر بغير زد ، ولا ظهر ، يعنى ولا راحلة يركبها لتعينه على وعناء السفر، ومشقة الطريق .

أما قوله ﴿...عَسَى رَيْتَ أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (٢٤) فهو نظير قول جده ابراهيم - عليه السلام - ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ (٩٩) [سورة الصافات: ٩٩] . ويقول الإمام النسفي - رحمه الله تعالى - والتقدير: إني ذاهب الى مكان فيه طاعة ربي .

والمعنى ولما وصل سيدنا موسى الى مدين وهي قرية " شعيب " . عليه السلام . وجد على البئر الذي يسقى منه الرعاة جمعاً غفيراً يريدون سقى إبلهم وغنمهم ، ومواشيهم ، ووجد من غير الجماعة الرعاة ، امرأتين تمنعان غنمهما عن الماء ، فقال لهما سيدنا موسى - عليه السلام - : ما شأنكما تمنعان الغنم عن وريء الماء ؟ ولما لا تسقيان مع السقاء ؟ قالتا من عادتنا التآنى ، والتصبر حتى ينصرف الرعاة مع أغنامهم عن الماء ، ولا طاقة لنا على مزحمة الأقوياء ، ولا نريد مخالطة الرجال ، وأبونا رجل بلغ من الكبر عتياً لا يستطيع لضعفه ان يباشر سقاية الغنم ، ولذلك اضطررنا إلى أن نسقى بأنفسنا . ويقول " أبوحيان " وفي هذا القول اعتذار سيدنا موسى - عليه السلام .

عن مباشرتهما السقى بأنفسهما وتبينه على أن أباهما لا يقدر على السقى لشيوخته وكبره ، وأيضاً فيه استعطاف لسيدنا موسى - عليه السلام - فى إعانتهم فسقى لهما غنمهما رحمةً بهما ، ثم تنحى جانباً فجلس تحت ظل شجرة فقال : يارب إنى محتاج إلى فضلك وإحسانك ، والى الطعام الذى أسدُّ به جوعى طلب من الله ما يأكله ، وكان قد اشتد عليه الجوع ، يقول " الضحاك " مكث سبعة أيام لم يذوق فيها طعاماً إلا بقل الأرض .

ويقول " ابن عباس " - رضي الله عنهما - سار موسى من مصر الى مدين ليس له طعام إلا البقل ، وورق الشجر ، وكان حافياً فما وصل الى مدين حتى سقطت نعل قدميه ، وجلس فى الظل وهو صفوة الله من خلقه ، وان بطنه للاصق بظهره من الجوع ، وان خضرة البقل لترى من داخل جوفه ، وإنه لمحتاج الى شق ثمرة ، ثم يعد هنيهة .

والكلام فيه ايجاز غير مُخلٍ بالمعنى ، ولا غرير فالقرآن الكريم قمة الإعجاز البلاغى واللغوى ، وهذا الايجاز هو انهما ذهبنا سريعتين ، وكان من عادتتهما الابطاء فحدثنا بما كان من امر الرجل ، وهو سيدنا موسى - عليه السلام - فأمر إحداهما أن تدعوه له فجاءته تمشى مشية الحرائر بحياء وخجل قد سترت وجهها بثوبها ، قال " عمر " - رضي الله عنه - " لم تكن بسلف من النساء ، خراجه ولاجة والسلف هي المرأة الجريئة السليطة الجسور ، فقالت له : إن أبى يطلبك ليجزيك خيراً عن أجر السقايا لغنمنا - يقول " ابن كثير " وهذا تادب في العبارة لم تطلبه طلباً مطلقاً لثلاثي يومه ربية ، ويقول اهل العلم : وهو ما نراه ونميل إليه أنه قال سبحانه " عَلَى اسْتِحْيَاءٍ " ليكون الحياء في القول والفعل ، حياء في القول فلا تخنث ولا تكسر ، ولا ميوعة في الكلام ، وحياء في الفعل حتى لا يطمح الذئ في قلبه مرض ، ولا يمكن لسيدنا موسى - عليه السلام - أن تتسرب الى قلبه ربية ، بيد أن التوجيه عام الى جميع المسلمين كى يتخذوا من هذا الموقف عبرةً وعظةً وقُدوةً ، خاصةً شبابنا في هذا العصر الذى يوج بالتيارات ، والفتن ، الواردة التى تستهدف اسلامنا ، وتلك الرياح الهوجاء والأعاصير والسهام الجازرة ، والرماح الطاعنة ، والتى تسدد حيال صدور المسلمين تريد الكيد للاسلام ، والنيل من سيدنا محمد - ﷺ - خاصة الرياح التى تهب بالسم من اليهودية الماكرة ، والنصرانية الحاقدة .

فلما جاءه موسى - عليه السلام - وقص عليه ما كان من أمره والسبب في هربه من مصر الى مدين قال له سيدنا شعيب - عليه السلام - لا تخف فأنت في بلد آمن لا سلطان لفرعون عليك ، وقد نجاك الله من كيد الكائدين ، وسفاهة المجرمين ، وحقد الحاقدين ، ومكر الماكزين .

﴿... وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٣٠]
 فالمكر في جانب البشر معناه الخبث واللؤم ، والمكر في جانب الله - عز وجل - معناه التدبير ، فقالت إحدى بنات سيدنا شعيب : يا أبتى استاجر لرعى اغنامنا وسقايتها ، فإن أفضل من تستاجر لهذا العمل ، والقيام به خير قيام من كان قويا امينا مثل هذا الشاب .

يقول " ابي حيان " وتولها كلام حكيم جامع لأنه اذا اجتمعت الكفاية والأمانة في القائم بأمر من الأمور فقد تم المقصود ، ورؤى أن شعيباً - عليه السلام - قال لابنته : وما أعلمك بقوته وأمانته ؟ فقالت : انه رفع الصخرة التى لا يطيق حملها إلا عشرة رجال ، هذا فى القوة ، أما فى الأمانة فقالت بنت سيدنا شعيب - عليه السلام - انى لما جئت

معه تقدمت أمامه فقال لي : " كوني من ورأى ويايني على الطريق ، ولما أتيت خفض بصره فلم ينظر إليّ ، فرغب شعيب في مصاهرته ، وتزيجه بإحدى بناته فزجه إياها وهي " صافوراء " ولذلك عرض عليه الزواج فقال له : إني أريد أن أزوجك إحدى بناتي هاتين الصغرى أو الكبرى بشرط أن تكون أجيراً لي ثمانى سنين ترعى فيها غنمى فإن اتممتها عشر سنين فذلك تفضل منك وليس بواجب عليك ، وما أريد أن أوقعك في المشقة باشرط العشر ، فقال له سيدنا موسى - عليه السلام - رداً على كلام سيدنا شعيب - عليه السلام - ستجدنى إن شاء الله حسن المعاملة ، لئن الجانب ، وفيا بالعهد ، يقول الإمام القرطبي . رحمه الله تعالى . " فى الآيه عرض الولي ابنته على الرجل ، وهذه سنة قائمة ، حيث ان سيدنا شعيب عرض ابنته على سيدنا موسى ، وعرض عمر - رضي الله عنه - ابنته " حفصة " على أبى بكر وعثمان . رضي الله عنهم .

وعرضت الموهوبة نفسها على النبي - ﷺ - فمن الحسن عرض الرجل وليته على الرجل الصالح ، وذلك اقتداءً بالسلف الصالح ، فقال موسى . عليه السلام لسيدنا شعيب إنما قلت أوعاهدتني عليه قائم بيننا جميعاً لا نخرج عنه ، وأى المدين الثماني أو العشر أديتها لك فلا إثم ولا حرج على ، والله شاهد على ما تعاهدنا ، وتوآقنا عليه ، فلما أتم موسى المدة التي اتفقا عليها يقول " ابن عباس " - رضي الله عنهما - قضى أتم الأجلين وأكملهما ، وأوفاهما وهو عشر سنين .

ومشى بزوجه مسافراً بها إلى مصر وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل من هو؟ قيل انه " شعيب " النبي - عليه السلام - الذي أرسل إلى أهل مدين وهذا هو المشهور عند كثير من العلماء ، وقد قاله الحسن البصري ، وغير واحد ، وقيل أن شعيباً - عليه السلام - هو الذي قص موسى عليه القصص ، وقيل بل كان ابن أخى شعيب ، وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب وقال آخرون كان شعيب قبل زمان موسى - عليه السلام - بمدة طويلة ، لأنه قال لقومه " وما قوم لوط منكم ببعيد " ، وقد كان هلال قوم لوط في زمن " الخليل " - عليه السلام - بنص القرآن وكان بين الخليل وموسى - عليهما السلام - مدة طويلة تزيد على أربعمائة سنة والموجود في كتب بني إسرائيل إن هذا الرجل اسمه " بيرين " ويقول الإمام الشهيد " سيد قطب " ما نصه في هامش صفحة ٢٦٨٧ المجلد الخامس (سبق أن قلت مرة في الظلال أن هذا الرجل هو شعيب أو قلت مرة انه قد يكون النبي شعيباً أولاً يكون وأنا الآن أميل إلى ترجيح انه ليس هو وإنما هو شيخ آخر من مدين) والذي يحمل على هذا

الترجيح أن هذا الرجل شيخ كبير، وشعيب شهد مهلك قومه المكذبين له ولم يبق معه إلا المؤمنون به .

فلو كان هوشعيب النبي - عليه السلام - بين بقية قومه المؤمنين ، ما سقوا قبل بنتي نبيهم الشيخ الكبير فليس هذا سلوك قوم مؤمنين ، ولا معاملتهم لنبيهم وبناته من أول ميل ، يضاف إلى هذا أن القرآن لم يذكر شيئاً من تعاليمه لموسى جهرة . ولو كان شعيباً النبي لسمعنا صوت النبوة في شيء من هذا مع موسى وقد عاش معه عشر سنوات .

ويقول صاحب " التفسير الكبير " أن أباهما هو " بيرين " ابن أخي شعيب - عليه السلام - وشعيب مات بعدما عمى . وهذا قول " ابن عباس " - رضي الله عنهما - وقيل ليس في القرآن ما يدل على أن أباهما كان شعيباً ، ويقول الحسن انه رجل مسلم قبل الدين عن شعيب ، والأكثرين على انه شعيب - عليه السلام .

ونحن نرى أن الأمر الذي يهمننا ، ونهدف إليه ونتغياها من هذه القصة هو العبرة والعظة والدرس المستفاد من هذه الأخلاق التي يسجلها القرآن الكريم في ذلك الحوار الذي دار بين سيدنا موسى - عليه السلام - وبين البنيتين أياً كان أبوهما حيث أن الأخلاق بأسمى معانيها ، وغاياتها ومقاصدها تجلت في معاملة سيدنا موسى للبنتين ، وأنه سقى لهما ، ولم تحتل شهامته ، ومرءته ، وخلقه أن يرى بنتين بين الرجال لسقى أغنامهم ، ولا يستطيع ذلك من زحام الرعاة وهذه أخلاق المؤمنين ، ولعل قوة سيدنا موسى النفسية هي التي أوقعت في قلوب الرعاة هيبته حيث أن قوة الإيمان ترهب وترعب ، حيث أن الناس يتأثرون بالقوة الرجحية أكثر من غيرها من القوى ، ومنه أيضاً أن " العباس بن عبد المطلب " حيث أقره النبي - ﷺ - أن يرى " أب سفيان " الجيش الإسلامي وهو متأهب لدخول مكة يوم الفتح .

يقول " أبو سفيان " حين رأى الجيش في استعراض عسكري ، ورأى خاصة الكتيبة الخضراء والتي كانت مكونة من الأنصار والمهاجرين ، تلك القوات الخاصة التي كان النبي - ﷺ - يقودها بنفسه ، وهم مدججون بالسلاح والدرع لا يبين منهم إلا العيون عندئذ نرى " أب سفيان " يقول يا عباس لقد أصبح ملك أخيك الغداة عظيماً ، فقال له العباس : يا أب سفيان ليس الملك إنما هي عظمة النبوة .

ولذلك نقول لا حاجة لنا في استعراض آراء المفسرين عن قوة سيدنا موسى مثل رفع الحجر الذي كان يغطي البئر، وكان لا يرفعه إلا عشرون أو أربعون أو أكثر أو أقل . فالبئر لم يكن مغطى، إنما كان الرعاة يسقون فكيف يسقون وهو مغطى ؟

فناهم سيدنا موسى وسقى ، كما انه لا حاجة لنا كذلك للرؤيات التي تثبت أمانة سيدنا موسى مثل قوله للفتاه " إمشي خلفي ودليني على الطريق " خشية أن يراها ، أو أنه قال لها هذا القول بعد أن مشى خلفها ، فرغ الهواء ثوبها عن كعبها ، فهذا كله تكلف لا داعي له ، ولا يجب الالتفات إليه ، كما أنه لا يجب تزريده بل من الواجب الإعراض عنه ، والبحث وراء ما تتغياه القصة من الأخلاق الكريمة ، لأنه دفع لريبة لا وجود لها أصلاً ، وسيدنا موسى نظيف الحس ، عفيف النظر ، وهي أيضاً كذلك ، ولعل الشيخ استجاب لرغبتها ، ونزّل على رأيها لأنه أحس من نفس الفتاه ونفس موسى ثقة متبادلة ، وميلاً فطرياً سليماً يصلح لبناء أسرة مسلمة على أساس من الدين والأخلاق ، فالإسلام يرقب من معتنقه أن يكون ذا ضمير يقظ ، تُصان به حقوق الله ، وحقوق الناس ، وتحرس به الأعمال من دواعي التفريط والإهمال ، ومن ثم أوجب على المسلم أن يكون أميناً ، والأمانة في الإسلام واسعة الدلالة ، فليست الأمانة في الإسلام محصورة في حفظ الودائع والأمانات ، من أموال وحلى ، ومعاملات ورقية ، أو عقود بيع أو إيصالات أمانة ، وشيكات ، وغير ذلك من الأمور التي يتعامل بها الناس في حياتهم الدنيوية ، يقول رسول الله - ﷺ - : " كلّم راع ومسئول عن رعيته ، فالإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيته ، والخادم في مال سيده راع ومسئول عن رعيته " (١) .

يقول " ابن عمر " - رضي الله عنهما - وهو راوي الحديث : سمعت هؤلاء من النبي - ﷺ - واحسبه قال " الرجل في مال أبيه راع وهو مسئول عن رعيته " .
 إن الإسلام يرقب من معتنقه أن يكون ذا ضمير يقظ تصان به الحقوق وتحرس به الأعمال من دواعي الإهمال والضياع ، والتفريق ، ومن ثم أوجب الإسلام على المسلم أن يكون أميناً .

والأمانة في نظم الاسلام واسعة الدلالة تنظم كل شئ في حياة المسلم يقول الله - عزوجل - : ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتَ إِلَىٰ مِن خَيْرِ قَبِيرٍ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحَدُهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ أَبِي يَدْعُوكَ لِجِزْيِكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ [سورة القصص: ٢٤: ٢٥]

والمعنى : فسقى لهما غنمهما ، ثم انصرف إلى ظل شجرة لِيُقَبِّلَ وَيَسْتَرِيحَ وَنَاجِيَ رَبَّهُ قَائِلًا : " إِنِّي لَمَحْتَاجٌ إِلَى شَيْءٍ تَنْزِلُهُ إِلَيَّ مِنْ خَزَائِنِ جُودِكَ وَكَرَمِكَ .

رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ قَالَ : " لَقَدْ قَالَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ذَلِكَ وَهُوَ أَكْرَمُ خَلْقِ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَلَقَدْ افْتَقَرَ إِلَى شِقِّ تَمْرَةٍ وَلِصِقِ بَطْنِهِ بظَهْرِهِ ، مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ ، فَجَاءَهُ الْفَرْجُ بَعْدَ الشَّدَةِ وَأَجَابَ اللَّهُ طَلِبَتَهُ ، وَحَقَّقَ عَلَى الْفُورِ رَغِيْبَتَهُ ، فَجَاءَتْهُ إِحْدَى الْمَرَاتَيْنِ تَمْشِي وَهِيَ حَيِيَّةٌ قَدْ سَتَرَتْ وَجْهَهَا بِثُوبِهَا قَائِلَةً : " إِنْ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَكْفَأَنَّكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ مِنَ الْإِحْسَانِ ، وَأَسَدَيْتَ إِلَيْنَا مِنَ الْمَعْرُوفِ بِسُقَى غَنَمِنَا ، قَالَ عَمْرَوَيْنِ مَيْمُونٌ : " لَوْ لَمْ تَكُنْ سَلَفًا مِنَ النِّسَاءِ ، يَرِيدُ لَمْ تَكُنْ امْرَأَةً جَرِيئَةً عَلَى الرِّجَالِ خَرَّاجَةً وَلا جَهَّ ، وَقَدْ أُسْنَدَتْ الدَّعْوَةُ إِلَى أَبِيهَا وَعَلَّتْهَا بِالْجَزَاءِ حَتَّى لَا يَتَوْهَمُ مِنْ كَلَامِهَا شَيْءٌ مِنَ الرِّيْبَةِ ، كَمَا إِنْ فِي كَلَامِهَا دَلَالَةٌ عَلَى كَمَالِ الْعَقْلِ وَالْحَيَاءِ ، وَالْعِفَّةِ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ .

فقد شوهدت مخايل الأمانة على موسى حين سقى لأبنتي الرجل الصالح ورفق بهما واحترم أنوثتهما ، وكان معهما عفيفاً ، شريفاً ، دليل ذلك قوله تعالى :

﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [سورة القصص: ٢٤]

وقد حدث هذا قيل أن ينبأ موسى ويرسل إلى فرعون - ولا غرر- فَرَسَلَ اللَّهُ يَخْتَارِينَ مِنْ أَشْرَفِ النَّاسِ طَبَاعاً ، وَأَذْكَاهُمْ مَعَادِنَ ، وَالذَّفْسَ الَّتِي تَظَلُّ مَعْتَصِمَةً بِالْفَضِيلَةِ عَلَى شِدَّةِ الْفَقْرِ ، وَوَحْشَةِ الْغَرِبَةِ ، هِيَ بِالرَّيْبِ تَكُونُ لِرَجُلٍ قَوِيٍّ أَمِينٍ ، وَالْمَحَافِظَةَ عَلَى حَقُوقِ اللَّهِ ، وَحَقُوقِ الْعِبَادِ ، تَتَطَلَّبُ حُلُقاً لَا يَتَغَيَّرُ بِاخْتِلَافِ الْأَيَّامِ بَيْنَ نَعْمَى وَبُؤْسَى ، وَتِلْكَ جَوْهَرُ الْأَمَانَةِ .

وطلب موسى من الله مطلبه المعروف حيث كان محتاجاً إذ بات ثانياً ليالٍ طاوياً ، أو أنى لما أنزلت إلى من خير فقير في الدنيا فيكون شكراً ، ولم يكن سقيه لهما طلباً للأجرة ، وإنما هو طلب للأجر والثواب ، لذلك قال : " انى لما أنزلت من فضلك وعناك فقير إلى أن تغنينى بك عن سواك .

وروى ان اسم إحداهما " ليا " والأخرى " صفورياء " وقيل : " صافوراء " ابنتا يثرون وهو شعيب - عليه السلام - . فقد كان موسى أميناً وصاحب مرءة حيث لم يعلن نظره بها ، ولم يتبعهما بنظرة حازرة ، ولا سهم مريب طاعن ، بل سقى لهما ثم تولى إلى الظل حيث كان يجلس من قبل ، وقد حمد الله - عز وجل - أن ساق إليه هذا الرزق الذي وجده فيما أسدى إلى هاتين الفتاتين الضعيفتين من عون وإحسان ، وأنه لفقير إلى مثل هذه الأعمال الطيبة ليكفر بها ما كان فيه من قتل المصري .

وهناك أمور جزئية لم يذكرها القرآن وذلك لدلالة الحال عليها ، فجاءته إحداهما تمشى في خِفةٍ وحياءٍ شأن المرأة الحصان ، العفيفة ، وحَسَبها أنها ربيبة بيت النبوة ، فلقد تجسد الحياء حتى كان بساطاً ممدوداً على طريقها إلى موسى إنها لا تمشى على الأرض ولكنها تمشى على حياء ، تتعثر فيه قدمها ، وتقصر به خطاها ، ويضطرب له كيانها ، ونهبت إليه لأن أباهما شيخ كبير ، ولو كان في وسعه أن يذهب إلى موسى ما بعث بابنته اليه ، وهو الغريب الذي لا مأوى له في البلد ، وليس المراد بالأجر هنا هو الأجر المادي ، إنما هو جزء الإحسان بالإحسان ، ولقاء المعروف بالمعروف ، وهنا تظهر الأتقى التي تطلب الرجل الذي تطمع في أن يكون رجلها الذي تحلم به ، وتنتظر الأيام تحي به ليطرق بابها .

﴿ قَالَتْ إِحْدَهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ ﴾ [سورة القصص: ٢٦]

والمعنى : امسك به عندنا ولا تدعه يفلت من يديك وذلك بأن تصله بك يعمل ، فهو خير من يعمل لك ، حيث عجزت عن العمل .

﴿... إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ ﴾ [سورة القصص: ٢٦]

هكذا تكشف لأبيها عن معدن الرجل الذي يستأجره ، وأنه في الرجال من يتزين بأجمل صفتين وهما : القوة والأمانة ، فقد رأت قوته فيما كان منه من السقي لهما ، كما رأت أمانته في غض بصره عنها ، وقد جاءت وحدها تدعوه إلى أبيها ويستجيب شعيب – عليه السلام – لهذا الطلب في غير تردد ، ويستشعر بمشاعر الأب ما في نفس ابنته نحو هذا الغريب ، وهكذا يجي شعيب إلى موسى صريحاً واضحاً ، كما يجي إلى ابنته أبا حانياً ، عاطفاً ، لا يرى حرجاً في أن يتخير لابنته الرجل الذي تتمناه زواجا لها ، ويردها حياءها عن أن تعرض نفسها عليه ، وما كان أبرع شعيباً وأحكمه وأعدله ، فيما بينه وبين موسى من جهة ، ثم فيما بينه وبين ابنته من جهة أخرى ، ولم يفرض على موسى واحدة بعينها فمن حق موسى أن يختار من يشاء منهما ، فلقد رأهما من قبل كما رأهما في بيت أبيهما ، وليس من الحكمة ولا من المصلحة ان تفرض عليه واحدة بعينها ، حتى ولو كان لموسى رغبة فيها ، وكان لها رغبة فيه ، فالفرض يصادر رأى موسى ويهدم إرادته ، فإذا لم يختار موسى شريكة حياته وهو سيعيش في بيت شعيب كان في ذلك تنغيص له واضطراب لحياته الزوجية ، هكذا الإنسان ، وهكذا تكون الحياة ، وأن شعيب لم يؤثر إحداهما على الأخرى حتى لا تكون في نفس الأخرى أسى ومرارة ، تجلى ذلك في قوله : ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ... ﴾ [سورة القصص: ٢٧]

ولقد كان قول بنت شعيب قولاً حكيماً جامعاً ، لأنه اجتمعت فيه الكفاية والأمانة في القائم بأمر من الأمور وإذا حدث ذلك فقد تم المقصود .

ويضئ القرآن الكريم في الحث على التحلي بالأخلاق الفاضلة ومنها الأمانة والتي نحن بصدد تناولها من خلال الآيات القرآنية الكريمة فيقول الله تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٧٢] .

فعن ابن عباس -رضى الله عنهما - قال : يعنى بالأمانة الطاعة عرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم - عليه السلام - فلم يطقها فقال لادم : " انى قد عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال فلم يطقنها ، فهل أنت أخذ بما فيها ؟ قال : يارب وما فيها ؟ قال : ان أحسنت جزيت ، وان أسأت عوقبت ، فأخذها آدم فتحملها فذلك قوله تعالى :

﴿... وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٧٢]

وعن ابن عباس -رضى الله عنهما - أيضا : الأمانة هي الفرائض عرضها الله على السماوات والأرض والجبال إن أودها أثابهم ، وإن ضيعوها عذبهم ، فكرهوا ذلك وأشفقوا على من غير معصية ولكن تعظيما لدين الله ألا يقوموا بها ، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها ، وهو قوله تعالى : ﴿... وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٧٢] وقيل أنها عرضت على ادم فقال : خذها بما فيها فان أطعت غفرت لك وان عصيت عذبتك ، قال : قبلت ، فما كان إلا مقدار ما بين العصر إلى الليل دون ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة .

ويقول الحسن البصري - رحمه الله - وآخرون - : " إن الأمانة هي الفرائض ، وقال آخرون : هي الطاعة ، وقال قتادة : الأمانة هي الدين ، والفرائض والحدود ، وقال بعضهم : هي الغسل من الجنابة ، وقيل : إن الأمانة ثلاثة : الصلاة ، والصوم والاعتسال من الجنابة ، وكل هذه الأقوال متفقة في مضمونها ، وراجعة إلى أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها ، وهى إن قام بها أتيب ، وإن تركها عوقب ، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله ، وظلمه ، إلا من وفقه الله ، والله المعين على ذلك .

وعن الحسن البصرى - أيضا - قال : " عرض الله الأمانة على السبع الطبايق الطرائق التي زينت بالنجوم ، وحملة العرش العظيم ، فقيل لها : هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت : وما فيها ؟ قال : قيل لها : ان أحسنت جزيت ، وان أسأت عوقبت ، قالت : لا ، ثم عرضها على الأرضين السبع الشداد التي شددت بالأوتاد وزلت بالمهاد ، فقيل لها : هل

تحملين الأمانة وما فيها؟ قالت: وما فيها؟ ف قيل لها: إن أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت، قالت: لا، ثم عرضها على الجبال الصم الشوامخ، والصعاب الصلاب، قال: قيل لها: هل تحملين الأمانة وما فيها؟ قالت: وما فيها؟ قال لها: إن أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت، قالت: لا.

ويقول مقاتل بن حيان: إن الله تعالى حين خلق خلقه جمع بين الإنس والجن، والسموات والأرض والجبال فبدأ بالسموات فعرض عليهم الأمانة وهي الطاعة فقال لهم: أتحملن هذه الأمانة ولكن على الفضل والكرامة والثواب في الجنة؟

فقلن يا رب إنا لا نستطيع هذا الأمر، وليس بنا قوة ولكننا لك مطيعين ثم عرض الأمانة على الأرضين، فقال لهم: أتحملن هذه الأمانة وتقبلنها مني، وأعطينكم الفضل والكرامة في الدنيا؟ فقلن: لا صبر لنا على هذا يارب، ولا نطيع، ولكننا لك سامعين مطيعين، لا نعصيك في شيء أمرتنا به، ثم قرب "آدم" فقال له: أتحمل هذه الأمانة وترعاها حق رعايتها؟ فقال عند ذلك آدم: ما لي عندك؟

قال: يا آدم إن أحسنت، وأطعت، ورعيت الأمانة فلك عندي الكرامة والفضل وحسن الثواب في الجنة، وإن عصيت ولم ترعها حق رعايتها، وأسأت فأني معذبك، ومعاقبك، وأنزلك النار،

قال: رضيت يارب وأتحمّلها، فقال الله - عز وجل - عند ذلك: قد حملتها، فذلك قوله تعالى: ﴿...وَحَمَلَهَا الْإِنْسُ...﴾. ويقول الله تعالى في شأن الأمانة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾ [سورة المعارج: ٣٢].

والمعنى: أى يؤدون الأمانات، ويحفظون العهود، فإذا اتتمنوا لم يخونوا وإذا عاهدوا لم يغدرؤا.

ومن معانى الأمانة وضع كل شيء في المكان الجدير به، واللائق له فلا يسند منصب الا لصاحبه الحقيقي به، الا ترى إلى يوسف الصديق؟

انه لم يرشح نفسه لإدارة شئون المال بنبوته، وتقواه فحسب، بل بحفظه وعمله، قال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف: ٥٥].

وان سيدنا أبا ذر الغفاري -رضي الله عنه- لما طلب الولاية لم يرّه النبي -ﷺ- أمينا بها، ولا جلدا لها، فلذلك حذر، منها حيث قال أباذر -رضي الله عنه-: يا رسول الله الا تستعملني؟ أى: اجعلني في منصب من المناصب المهمة، فقال له

النبي - ﷺ -: يا أبا ذر إنك ضعيف ، إنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها " (١) .

فالأمانة تقتضى أن نولى الأعمال والمناصب أصحاب الكفاءات ، دونما تعصب لقربة ، أو خضوع لرشوة ، أو هوى شخصي ، قال رسول الله - ﷺ -: " من استعمل رجل على عصابة وفيهم من هو رضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين " (٢) .
والأمة التي لا أمانة فيها هي الأمة التي تُعبثُ فيها الشفاعات بالمصالح المقررة ، وتطيش بأقدار الرجال الكفاء لتهملمهم ، وتقدم من دونهم ، وهذا مظهر من مظاهر الفساد الخطير . جاء رجل يسأل رسول الله - ﷺ - متى تقوم الساعة ؟ فقال له : " إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، فقال : وكيف إضاعتها ؟ فقال : إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة " (٣) .

فليست أعظم خيانة ، ولا أكبر جرماً ، ولا أسوأ عاقبةً ، من رجل تولى أمور الناس فنام عنها حتى أضاعها .

ومن معانى الأمانة ان تنظر إلى حواسك التي أنعم الله بها عليك ، وإلى المواهب التي خصك بها فتدرك أنها ورائع الله الغالية عندك فمن الواجب عليك ان تسخرها في طاعة الله ، يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٧) وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فَتَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ [سورة الأنفال: ٢٧: ٢٨] .

ومن معانى الأمانة ان تحافظ على حقوق المجالس التي تشارك فيها فلا ترضى للسانك العنان فتسرده أخبارها ، وتنشر أسرارها ، قال رسول الله - ﷺ -: " المجلس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس : مجلس سفك دم ، أو فرج حرام أو اقتطاع مال بغير حق " (٤) .
والودائع التي تدفع إلينا لنحفظها حينئذ نردها إلى أصحابها حين يطلبونها من الأمانات التي نسال عنها أمام الله يوم القيامة ، وقد استخلف النبي - ﷺ - عند هجرته من مكة إلى المدينة ابن عمه على بن أبى طالب - رضى الله عنه - ليرى للمشركين الودائع التي كانت محفوظة عند رسول الله - ﷺ - حين ترك وطنه فاراً بعقيدته .
قال ميمون بن مهران : " ثلاثة يؤدين إلى البر: الأمانة ، والعهد ، وصلة الرحم " .

- 1- رواه مسلم .
- 2- رواه الحاكم .
- 3- رواه البخاري .
- 4- رواه أبو داود .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [سورة النساء: ٥٨] .
والأمانة التي تدعو إلى رعاية الحقوق ، وتعصم عن الدنيا ، لا تكون بهذه المثابة إلا إذا استقرت في وجدان المرء ، وكانت راسخة في أعماقه ، وهيمنت على الداني والقاصي في مشاعره ، وذلك معنى حديث خديجة بن اليمان -رضى الله عنه- عن رسول الله -ﷺ- "إن الأمانة نزلت في جزر قلوب الرجال ، ثم نزل القرآن ، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة" (١) .

فإذا مات الضمير انتزعت الأمانة ، فما يعنى عند المرء ترديده لآيات القرآن الكريم، ولا حفظه للحديث ، ولا دراسته للسنة ، فهيهات أن تستقر الأمانة في قلوب تنكر الحق .
إن الأمانة من الفضائل الضخمة لا يستطيع حملها الرجال المهازيل وقد بين الله سبحانه أنها تثقل كاهل الوجود ، فلا ينبغي للإنسان أن يستهين بها أو يفرط في حقها .
فالأمانة في الإسلام هي الفريضة التي يتواصى المسلمون برعايتها ويستعينون بالله على حفظها حتى انه يقول عند السفر أو غير؛ لأخيه المسافر: استودع الله دينك وأمانتك، وخواتيم عملك. (٢)

وعن أنس قال: ما خطبنا رسول الله -ﷺ- إلا قال " لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد عنده " (٣) .

1- تفسير البحر المحيط ج٧ ، ص ١١٤ .

□ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٣ ، ص ٣٨٢ ، ج ٢ ، ص ٥٢٢ وما بعدها .

□ التفسير القرآني للقرآن ، تفسير الكريم الخطيب ج ٥ ، ص ٣٣٤ وما بعدها .

□ تفسير القرطبي ج ١٣ ، ص ٢٢٦ ، وما بعدها وأيضا ص ٢٥٣ وما بعدها .

□ الفتوحات الالهية للجمال ج ٣ ، ص ٢٢ وما بعدها .

□ تفسير المراغي ج ٧ ، ص ٥ ، وما بعدها ، ج ١ ، ص ٧٢ .

□ تفسير أبي السعود ج ٤ ، ص ٢٢١ .

□ صفوة التفاسير ج ٣ ، ص ٤٤٦ .

□ رواه مسلم ،

□ تفسير أبو السعود ج ٤ ، ص ٢٢١ .

□ التسهيل في علوم التنزيل ج ٣ ، ص ١٤٥ .

□ زاد المسير ج ٦ ، ص ٤٢٨ .

2- رواه الترمذي .

3- رواه أحمد .

ويقول النبي - ﷺ - " اللهم انى أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة " (١) .

وكان رسول الله - ﷺ - في حياته الأولى قبل البعثة يلقب بين قومه بالأمين .

وكذلك شوهدت مخايل الأمانة على سيدنا موسى حين سقى لابنتا الرجل الصالح ورفقه بهما ، واحترم أنوثتهما ، وكان معهما عفيفاً ، شريفاً ، ومع ذلك لم يكن موسى نبياً في ذلك الوقت ، بل كان شاباً في فترة المراهقة المبكرة بلغة العصر الحديث ، وفى هذا قدوة لشبابنا المسلم حتى لا يقول محتجاً أنه نبي ومعصوم ، فلم يكن موسى نبياً وتنتد ، بل كان شاباً جلدأ قويا ، فقد حدث هذا قبل أن ينبأ ، ويرسل إلى فرعون ، ولا غرير فان رسل الله - صلوات الله وسلامه عليهم - يختارون من اشرف الناس طباعا ، وأذكاهم معادن ، واصفاهم سريرةً ولذلك كانت الأمانة في الإسلام ، والاحتفاظ بحقوق الله ، والمحافظة على حقوق العباد يتطلب خلقاً لا يتغير بتغير الأيام بين النعماء والبأساء ، وذلك هو جوهر الأمانة ، ومن الأمانة أيضا وضع كل شئ في موضعه حسب الكفاءة والإمكانات العلمية . فعن أبي ذر . رضي الله عنه . قال : قلت يا رسول الله ألا تستعملني ؟

قال فضرب بيده على منكبي ، ثم قال : يا أبا ذر انك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها . (٢)

وانظر إلى سيدنا يوسف . عليه السلام . انه لم يرشح نفسه لإدارة الشئون المالية بنبوته وتقواه فحسب بل بحفظه وعمله أيضا .

﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا ﴾ [سورة يوسف : ٥٥] .

وأبادر- رضي الله عنه- لما طلب الولاية لم ير الرسول - ﷺ - جلدأ لها ، وأميناً بها ، وجديراً بتوليها لذلك حذر، منها ولم يولّه حفاظاً عليه ، خشية أن يلحق من ورائها ما يضر بدينه .

هكذا الأمانة ، ومحافظة النبي - ﷺ - على أصحابه ، ومن الأمانة أن نصطفى الكفاءات لتولى المناصب وإدارة الأعمال ، قال رسول الله - ﷺ - " من استعمل رجل على وصاية وفيهم من هو أَرْضَى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنون " (٣) .

1- رواه .

2- رواه مسلم .

3- رواه الحاكم .

فانظر إلى هذا العصر الأتكد الذي تولى فيه أمرنا شرارنا ، خاصةً فيما نسميه الدولة " دولة المؤسسات " واختيار أعضاء المحليات ، ومجلس الشعب ومجلس الشورى ، إنهم أناس لا يتصفون بالأمانة ، ولا يتحلون بالأخلاق الفاضلة إلا من عصم الله وهم قلة قليلة تكاد تُعدُّ على أصابع اليد الواحدة .

والأمة التي لا أمانة فيها هي الأمة التي تعبت فيها الشفاعات بالمصالح وتطيش بأقدار الرجال الأكفاء لتهملمهم ، وتقدم من دونهم ، وقد استشرى هذا الفساد حتى خلت الساحة من الأكفاء ، وغصت بالأكفاء . جاء رجل يسأل رسول الله - ﷺ - " متى تقوم الساعة ؟ فقال له : إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، فقال وكيف إضاعتها ؟ قال : إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة " (١) .

وقال رسول الله - ﷺ - " إذا جمع الله بين الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء يعرف به فيقال هذه غدرة فلان " (٢) .

وفي رواية أخرى " لكل غادر لواء عند أمته ، يرفع له بقدر غدرته ، ولا غادر أعظم من أمير عامه " (٣) يعني ليس أعظم خيانة ، ولا أسوأ عاقبة من رجل تولى أمور الناس فنام عنها حتى أضاعها ، ومن الأمانة ألا يستغل الرجل منصبه الذي عين فيه لجر منفعة خاصة لنفسه ، أو لقرابته ، فإن سرقة المال العام جريمة لا تغتفر ، والمعروف أن كل موظف في الدولة أو شركة له مرتب معين فإذا ما تقاضى قوم ذلك من طريق غير مشروع فهو سُحَّت ، وكسب حرام .

قال رسول الله - ﷺ - " من استعملناه على عمل ففرقناه رزقاً ، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول " (٤) .

وكان غلولاً لأنه يعد اختلاس من المال العام ، وهو مال الجماعة المسلمة يعنى هو ملك لجميع المسلمين ، يقول الحق سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلُ وَمَنْ يَعْلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [سورة ال عمران: ١٦١] .
أما المسلم الذي يلتزم حدود الله فيما أسند إليه، ويؤدى واجبه على الوجه الأكمل فهو عند الله من المجاهدين لنصرة دينه، وإعلاء كلمته، قال رسول الله - ﷺ -

- 1 - رواه البخاري .
- 2 - رواه البخاري .
- 3 - رواه مسلم .
- 4 - رواه أبو داود .

"العمل إذا استعمل فآخذ الحق وأعطى الحق لم يزل كالمجاهد في سبيل الله حتى يرجع إلى بيته" (١)

وقد شدد الإسلام في ضرورة التعفف عن استغلال النفوذ، كما شدد في رفض المكاسب غير المشروعة والتي يشوبها الحرام.

فعن "عدى بن عميرة" قال: سمعت رسول الله - ﷺ - قال " من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطة فما فوق كان غلولا يأتي به يوم القيامة ، فقام إليه رجل أسود من الأنصار-كأني أنظر إليه- فقال يا رسول الله اقبل عنى عملك قال : وما لك؟ قال: سمعتك تقول كذا وكذا ، قال : وأنا أقوله الآن من استعملناه منكم على عمل فليجئ بقليله وكثيره، فما أوتى منه اخذ ، وما نهى عنه انتهى " (٢) .

وحدث أن استعمل النبي - ﷺ - رجل من "الأزد" يقال له "ابن اللثبية" على الصدقة ، فلما قدم بها قال : هذا لكم ، وهذا أهدي إلى ، يقول راوي الحديث فقام رسول الله - ﷺ - فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أما بعد فأنى استعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله فيأت فيقول : هذا لكم ، وهذا هدايا أهديت إلى ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتبه هديته إن كان صادقاً ؟

والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة فلا عرفن أحد منكم لقي الله يحمل بغيراً له رغاء ، أو بقره لها خوار ، أو شاة تبعر ثم رفع يديه حتى رأى بياض أبطيه يقول : اللهم هل بلغت " (٣) .

ومن الأمانة أيضاً أن ينظر المسلم إلى حواسه التي انعم الله بها عليه وللأموال والأولاد والمناصب ، والمواهب التي خصه الله بها ، ومنحه إياها ، فيدرك المسلم أنها وبائع الله عنده فيجب أن يسخرها في مرضاة الله ورسوله ، قال الله - عز وجل - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُونُوا إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ وَتَحُونُوا إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٧) وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فَتَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ [سورة الأنفال: ٢٧: ٢٨] .

ومن معاني الأمانة حفظ حق المجلس فإذا كنت في مجلس حاضرًا فالأخلاق القرآنية تأمرك بالأمانة تفسى أسرار هذا المجلس ، قال رسول الله - ﷺ - : " إذا حدث رجل رجلاً بحدِيث ثم التفت فهو أمانة ، يعنى اذا حدثه بحدِيث وأدار ظهره؛ له فيصبح الحدِيث

1 - رواه الطبراني .

2 - رواه مسلم .

3 - رواه مسلم .

أمانة لا يجوز له إفشائه ، قال رسول الله - ﷺ - " المجلس بالأمانة الاثلاثة مجالس ، مجلس سفك دم حرام أو فرج حرام ، أو إنقطاع مال بغير حق " (١) .

والملاقات الزوجية أيضا في نظر الإسلام قداسة وإحترام ، فما يضمه البيت من شئون العشرة بين الرجل والمرأة من الواجب ان يطوى في أستار مُسْبَلَةٍ فلا يطلع عليه أحد مهما قرب .
والسفهاء من العامة والدهاء يثرثرون في هذه الامور، وتلك وقاحة يجرمها الله - سبحانه.

فعن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله - ﷺ - والرجال والنساء قعود عنده . فقال : لعن الله رجلا يقول ما فعل بأهله ، ولعن الله امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها ؟

فألزم القوم - سكتوا وجلين - فقلت : أى والله يا رسول الله ، إنهم ليفعلون وإنهن ليفعلن ، قال " فلا تفعلوا فإنما مثل ذلك شيطان لقي شيطانه فغشياها والناس ينظرون " (٢) .

وقال رسول الله - ﷺ - : " ان من أعظم الامانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته وتفضي إليه ، ثم ينشر سرها " (٣) .
والونائع التى يحفظها الناس لدينا هى أمانة أيضاً نُسأل عنها امام الله - سبحانه - ويجب ردها الى صاحبها متى طلبها .

وقد استخلف رسول الله - ﷺ - سيدنا " على بن أبى طالب " -رضي الله عنه- عند هجرته من مكة الى المدينة ليرى الأمانات والونائع للمشركين حيث أنهم كانوا قد حفظوها لدى النبی - ﷺ - مع ان هؤلاء المشركين أصحاب الونائع التى استخلف النبی علياً لردها لأصحابها كانوا بعض الذين استفزوه من الأرض، واجبروه على ترك وطنه مسقط رأسه ، ومدرج صباه ، وذلك في سبيل عقيدته لكن الشريف لا يضيع مع الصغار .
يقول "ميمون بن مهران" ثلاثة يؤدین إلى البر والفاجر: الأمانة ، والعهد ، وصلة الرحم .
أما أن يعد بعض الناس الوديعة غنيمة ، فذلك لون من ألوان السرقة الفاجرة .

1- رواه ابوداود .

2- رواه الإمام احمد .

3- رواه مسلم .

فمن " عبد الله بن مسعود " -رضي الله عنه - قال : القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة ، قال : يؤتى بالعبد يوم القيامة وإن قتل في سبيل الله ، فيقال : أدي أمانتك ، فيقول : اى رب كيف وقد ذهبت الدنيا ؟ فيقال : انطلقوا به الى الهاوية ، وتمثل له أمانته كهبيئتها يوم دفعت إليه فيراها فيعرفها ، فيهوى فى أثرها حتى يدركها فيحملها على منكبيه ، حتى اذا ظن أنه خارج زنت عن منكبيه فهو يهوى فى أثرها ابد الأبدين ، ثم قال : الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة ، والوزن أمانة ، والكيل أمانة ، وأشياء عددها ، وأشد ذلك الودائع ، يقول راوي الحديث : فأتيت البراء بن عازب فقلت : ألا ترى الى ما قال بن مسعود قال كذا وكذا ، قال البراء : صدق اما سمعت الله يقول :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [سورة النساء: ٥٨] .

إن الأمانة حُلُقُ اسلامي أرشدنا اليه القرآن الكريم اثناء حديثه عن الأخلاق ، وهو فضيلة من الفضائل العظيمة ، لا يستطيع حملها المهازيل من الرجال ، حيث انها ثقيلة ضخمة تثقل كاهل الوجود كله ، فلا ينبغي للإنسان الاستهانة بها ، أو أن يفرط فيها .

يقول الله - عز وجل :- ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٧٢] .
والظلم والجهل أفتان عرضتا للفطرة الأولى ، وعنى الإنسان بجهادهما ، فلن يخلص له إيمان ، إلا اذا أنقاه من الظلم .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الَّذِينَ هُمْ يُرْتَدُونَ ﴾ [سورة الأنفال: ٨٢] .
وأن يخلص له تقوى إلا إذا نقاها من الجهالة ، يقول سبحانه وتعالى :- ﴿ ...إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ... ﴾ [سورة فاطر: ٢٨] .

ولذلك بعد أن يقرأ الآية التى حملت الانسان الأمانة تجد أن الذين غلبهم الظلم والجهل ، خانوا وناقوا وأشركوا ، فحق عليهم العقاب ، ولم تكتب السلامة لأهل الإيمان والأمانة .

قال تعالى : ﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٧٣] .

هذه هي الأخلاق في القرآن الكريم، ذينكم الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي يجب على المسلم ان يتخلق بأخلاق القرآن الكريم الذي أنزله الله هدى ورحمة للعالمين، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، اللهم وفقنا للعمل بما أودعته من أخلاق في كتابك العزيز^(١).

1 - البحر المحيط ج ٧ ص ١١٣ .

- صفوة التفاسير للصابوني ج ٢ ص ٤٣٠ وما بعدها.
- مفاتيح الغيب اوالتفسير الكبير للرازي ج ١٢ ص ٢٦٥ وما بعدها .
- مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٠ .
- تفسير الطبري ج ٢٠ ص ٣٩ .
- في ظلال القرآن للامام الشهيد سيد قطب ج ٥ ص ٢٦٨٥ - ٢٦٨٩ .
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٣٨٣ - ٣٨٦ .
- روح المعاني للالوسي .
- النهر الماد من البحر المحيط ، حاشية على البحر .
- الدر اللقيط من البحر المحيط ، حاشية على البحر .